ترجمة الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية بين الممارسة اللسانية والتلقي

ا. بن مهدي نور الديـــــن
جامعة تلمسان

ملخص :

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية طرح مجموعة أسئلة تدور حول المنهجية التي ترجم بها الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية عامة و الأدب الجزائري على وجه الخصوص و كذا كيفية تلقي القارئ المغاربي – القارئ الجزائري تحديدا– لهذه النصوص الإبداعية مترجمة إلى اللغة العربية.

1 ظروف نشاة الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية .

يبدو أن الأدب الجزائري قد نازعته تيارات متعددة (فكرية ، إيدولوجية و هوية) لم تكن إلا الوجه الآخر لدينامكية الواقع ، هذه التيارات المتعددة تفاوتت و اجتمعت لتعطينا الصورة الثقافية في بلاد المغرب العربي التي لا يمكن بأي حال من الأحوال فصلها عن الخلفية اللسانية التي أسهمت في بلورتها .

لقد استفاد الكتاب المغاربيون المفرنسون من الواقع الثقافي الاستعماري و استطاعوا تسخيره لصالح شعوبهم و أمتهم و قضيتهم الأمر الذي أسهم بشكل واضح في تطوير الرواية و ذات التعبير الفرنسي le roman d’expression française

حيث اصبح الأدب المغاربي الناطق باللغة الفرنسية ذا بعد اساخي عظيم لأنه أعطى الأولوية للمسالة الوطنية التي كانت تعتبر القضية المحورية لكل الكتابات التي انتجتها تلك الخلفية التاريخية ، (فهذه ثلاثية محمد ديب تتنبأ الثورة حتى قبل اندلاعها على الرغم من أنها كتبت بغر العربية) .

2 خصائصه :

إن المرجعيات النصية للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية مرجعيتان تنتمي إلى حقل ثقافي و أدبي غير الحقل الأدبي الثقافي المرتبط مباشرة باللغة الفرنسية .

انه نص من نوع خاص يحمل قلق الانتقال من المنطوق الذي ينتمي إلى سلسلة ثقافية و معرفية و لغوية لها منطقها التاريخي و الوجودي الخاص بها إلى حالة المكتوب الذي ينتمي إلى سلسلة معرفية و رموزية أخرى لها منطقها الخاص بها .

إن الأديب الجزائري الذي يكتب بالفرنسية – أحب أم كره – يفكر بلغته الأصلية لغة الأم و الطفولة و الأسطورة و الدين و يكتب بلغة ثانية لها انتماء أخر و منطق أخر أي لغة الإبداع .

انطلاقا من هذه الحالة الإبداعية المحملة بهذا القلق الإبداعي يمارس الأديب الذي يكتب بالفرنسية الخيانة الجميلة ، المسموح بها ، تتمثل هذه الخيانة الحلال(la trahison permise) في كون أدبنا المكتوب باللغة الفرنسية بكل ما يحمله من قوة نصية يمارس تمردا مستمرا داخل بنيته لغة الابدا ع المستقبلة .

– إن علاقة الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية عامة و الأدب الجزائري على وجه الخصوص باللغة الفرنسية لغة ابداع ، حلات كاتب ياسين ، محمد ديب ، مولود فرعون ، مولود معمري ، أسيا حبار ، رشيد بوجدرة ، رشيد ميموني (الجزائر) ، عبد اللطيف النعيمي ، فؤاد الفروي ، الطاهر بن حلون (المغرب) ، عبد الوهاب مؤدب ، حالة باجي ، فتحي بن سلامة (تونس) .

ان ارتباط النص الجزائري المكتوب بالفرنسية بمتون ثقافية يمليها النص الغائب الذي يحمل على جدور ثقافة الأنا : الأم الطفولة تمثل عقبة و عقدة عند القراءة لدى القارئ الفرنسي ، اذ ان الشعور بالمعاناة لدى القارئ الفرنسي و هو أمام نص بالفرنسية : فالنص الجزائري المكتوب بالفرنسية على مستوى التلقي أي القراءة يضع القارئ الفرنسي أمام وضعية قراءة نص مترجم .

انطلاقا مما سبق لا حق لنا على المستوى النظري أن نطرح السؤالين التاليين و الذي نعتبرهما جوهريان في كل عملية ترجمة لهذا الصنف من النصوص :

ا – أليس الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ترجمته لنص غائب ؟

ب– ألا يعتبر النص المكتوب بالفرنسية نصا يخفي خلفه نصا اخر ؟

3– ترجمته: بين الممارسة اللسانية و التلقي .

ا – مرحلة المشارقة و ترجمة الأدب الجزائري المكتوب الفرنسية .

لقد كانت الموجة الأولى من المترجمين العرب من السوريين و اللبنانيين مدفوعة بعامل دعائي سياسي و هو مساندة الثورة الجزائرية : اذكر هنا ترجمات كل من سامي الدروجي (ثلاثية محمد ديب) و ملكه ابيض (كاتب ياسين و مالك حداد) سلسلة الأدب الجزائري التي كانت تصدر عن وزارة الثقافية السورية .

لقد تميزت هذه الترجمات بحس حماسي قائم على التركيز على إبراز القضية الجزائرية قبل الحديث عن الأدب الجزائري ، أي الاحتفال بالثورة الجزائرية أكثر منه الاحتفال بالنص الأدبي .

بذلك يمكن طرح السؤال الثاني هل الترجمة كانت للثورة الجزائرية أم للأدب الجزائري ؟

إن المقدمات و التعليقات و الهوامش الاستهلالية لهذه الترجمات كلها تركز على .... الأدب أي جانب الرسالة السياسية في حين يلغي الجانب الجمالي من كل هذه النقاشات و المقارنات.

إن هذا الموقف جعلنها نلتمس حالة من الأبوية الأدبية التي تؤطر هذه الترجمات و هو الأمر الذي يجعل بعض المترجمين يتصرفون بكل حرية في النص لتصل في بعض الترجمات إلى إعادة إبداع le traduction récréative . حالة سامي الدروجي في ترجمته لثلاثية محمد ديب métier a tisser et l'inçendie – la grande maison.

الثقافة الأمازيغية مجهولة لدى المترجم العربي المشرقي و كذا الروح الجزائرية المبثوقة عن التراث اللغوي الشعبي الذي يستند إليه الكاتب من خلال ارتباطه بمجتمعه (مقارنة ترجمة المشارقة لمولود فرعون (ابن الفقير) ترجمة جورج سالم وزارة الثقافة السورية 1962 و ترجمة المرحوم حنفي بن عيسى (الدروب الوعرة) 1976 ، ترجمة ملكة ابيض عيسى لرواية (نجمة) لكاتب ياسين و تحرمه محمد قوبقة لنفس الرواية .

على المستوى المنهجي : يحتاج مترجمو الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية إلى العربية إلى دليل أو قاموس للمترجمين ففي غياب قاموس فكل عمل ترجمي هو عمليته مطوعة الحدود و بالتالي تكون فاقدة لبعدها التقدي و بذلك جاءت هذه الترجمات ارتجالية مزاحية مقطوعة عن الحقل الأدبي و الثقافي في الجزائر و العالم العربي و العالم الفرنكفوني .

ب– المرحلة الوطنية :

لقد طال صمت الترجمة حتى بداية الثمانينات لتعود الترجمة هذه المرة مدفوعة بعوامل السهرة الأدبية و الإعلامية التي حقروها بعض الأسماء الجزائرية على المستوى العامل . و ستكون العودة انطلاقا من ترجمة روايات رشيد بوجدرة أي الجيل الثاني من الأدب الذي يكتب باللغة الفرنسية و ستلقى أعماله المترجمة رواجا عن الشرق عند القارئ العربي ترجم له الحلزون العنيد — ترجمة هشام الراوي الألف و عام من الحنين ، ترجمة مرزاق بقطاش – ترجمة الجيلالي خلاص . و بعد رشيد بوجدرة اهتم المترجمون بأعمال رشيد ميموني ثم أخيرا الطاهر جاووت.

4-استنتاجات :

ما يلاحظ على هذه الترجمات خاصة (التطليق) و الألف عام من الحنين أنها ترجمات لم تحترم النص الأصلي كاملا ، و إذا كنا نريد أن ننوه بترجمة مرزاق بقطاش من حيث سمويته النص إلا أن المترجم حذف بعض الفقرات التي تعتقد أنها تستنفر القارئ العربي غير المتعود على قراءات النصوص الروائية الجزئية .

ختاما و بعد هذا الحديث عن سؤال الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية و علاقته بالترجمة ألا يحق لنا القول أن الأدب الجزائري يشهد ميلاد تجربة أدبية فريدة لم يعرفها الأدب في الدول العربية الأخرى ، انه ميلاد جيل أدبي يكتب باللغتين العربية و الفرنسية هذا الجيل الأدبي الجزائري الجديد ، و بعد تقريبا نصف قرن من الاستقلال يحقق للجزائر تقودها و خصوصيتها الثقافية و اللغوية و الحضارية المتعددة و الفنية ، و هي إشارة إلى مستقبل يتميز فيه الحقل الأدبي و الثقافي بالتسامح و التحاور الثقافي و اللغوي في بلادنا .